الصورة الحجاجية المدحية
في شعر الراعي النميري
الباحث / عبد العزيز مطلق نصار مطلق الشريعان

الصورة الحجاجية المدحية

تدور معاني كلمة (المدح) في معظم المعاجم العربية القديمة ، حول دلالات الثناء والإطراء وذكر المحامد والصفات الحسنة ، فجاءت في معجم مختار الصحاح بمعنى (الثناء الحسن، وقد مَدحَهُ وامتدَحه بمعنى واحد، وكذلك المِدحَهُ، والمديحُ، والأمدوحَه ... وتمدحَ الرجل: تكلف أن يمدح، ورجلٌ مُمدحٌ، أي ممدوح جدًا، وامدَح بطنُه: لغةٌ في انْدَح، إذا اتسع، وتمدحت خواصر الماشية، أي اتسعت شبعًا (١).

ويقول الإمام أحمد بن فارس: " جذر الفعل (م ، د ، ح) يدل على وصف محاسن بكلام جميل ، ومَدَحه يمدحه مدحً : أحسن عليه الثناء والأمدوحه : المدح ، ويقال المنقبة أمدوحه (٢).

ويقول ابن منظور: " المدح: نقيض الهجاء وهو حسن الثناء " والصحيح – عند ابن منظور – أن المح المصدر، والمِدحه الاسم، والجمع مِدح ، وهو المديح والجمع المدائح والأماديح ... " إذًا فالمدح هو الثناء الجميل ووصف محاسن الممدوح بالكلام الحسن(٣).

وإذا رجعنا إلى التعريف الاصطلاحي للمدح، نجده يقارب المعنى اللُّغوي لها، فقد عرفها الجرجاني بقوله : " هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصدًا "(٤) .

ويعد فن المدح من الفنون القديمة التي عرفها الشعر، لأن المدح مرتبط بالطبع فهو غريزة إنسانية تتغلغل في نفس الإنسان، فشعراء العرب (فاضت دواوين شعرهم بفن المديح في القديم والحديث حتى طغى على سائر فنون الشعر الأخرى)(٥) وهو أيضًا "

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري ، ج ١ ، ص ٤٠٣ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، ج ٥ ، ص ٣٠٨ .

(٣) لسان العرب ، لابن منظور ، ج ٢ ، ص ٥٨٩ .

(٤) كتاب التعريفات ، للجرجاني ، ص ٢٩٧ .

(٥) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٣، صـــ٢٨١، ٢٨٢.

أحد أبرز الأغراض الشعرية القديمة الذي ازدهر خلال العصور المختلفة وقد جعلته أكثر بروزًا وانتشارًا، فإنه يعني في تراثنا العربي فنًا شعريًا رائع لما يحمله من كنوز نفيسة من أسلافنا في التربية الخلقية والنفسية والاجتماعية(١).

وأشعار المدح كثيرة عند الراعي النميري، مثل قوله في مدح (سعيد بن عبد الحمن بن عتاب):

أسعيدُ إنّكَ في قريشٍ كلّها شرفُ السّنامِ وموضعُ القلبِ
مُتَحَلِّبُ الْكَفَّيْنِ غَيْرُ عَصِيِّهِ ضيقٍ محلّتهُ ولا جدبِ
الأوبُ أوبُ نعائمٍ قطريّةٍ والأَلُّ أَلُّ نَحَائِصٍ حُقْبِ (٢)

فالشاعر في الأبيات السابقة يذكر محاسن (سعيد) ويثني عليه، حتى ارتقى به عبر التشبيه لدرجة أنه أصبح بمنزلة القلب النابض في الجسد، كما بيَّن الشاعر منزلته السامية، ووضعه في مرتبة عالية بين قريش فهو"شرف السنام لها، وبهذه الاستهلالة المدحية ينتقل إلى نتيجة مُستخلَصة في البيت الثاني، وهي أنه يتصف بالكرم والسخاء ولا يمنعه من ذلك ضيق. ومن دواعي تلك المنزلة التي استحقها بين الناس أنه شجاع وسريع في الكر كسرعة الأتن الوحشية، وفي الرجوع يُشبه الإبل".

ولقد حظيت الصور الحجاجية المدحية عند الراعي النميري باهتمامٍ بالغٍ، لأنها ذات غاية عظيمة وسمة إنسانية رفيعة، تتمحور جلَّ هذه الغاية، في جلب المكانة الرفيعة لقومه التي تدهورت في حكم الأمويين، واحتاج الشاعر أن يرفع الظلم والاضطهاد عن قبيلته، وفي سبيل ذلك استخدم الخطاب الممزوج بالأساليب والروابط الحجاجية، للوصول إلى الغاية المنشودة، وهذا بالتأكيد يدلل على أنه شاعر مجيد لأساليب الحجاج والإقناع، ويتضح ذلك، في قوله (٣):

فَلَوْ كُنْتُ من أصحابِ مروان إذْ دَعَا بِعَذرَاءَ يَمَّمْتُ الهُدى إذْ بَدَا لِيا
عَلَى بَرَدى إذْ قَالَ إنْ كَانَ عَهْدُهُمْ أُضِيعَ فكونُوا لا عَلَيَّ وَلا لِيا
وَلكِنَّنى غُيبتُ عَنْهُم فَلَمْ يُطَعْ رَشِيدٌ وَلَمْ تَعصِ العشيرَةُ غَاوِيا

(١) فصول في الشعر ونقده ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧١ م ، ص ١٩ .

٢ - ديوان الراعي، ص ٤١.

(٣) ديوان الراعي ، شرح د/ واضح الصمد ، ص ٢٥٠ .

ومن الملاحظ عند قراءة الأبيات السابقة، أن الشاعر انطلق في خطابه الحجاجي، من خلال رابطين حجاجيين هما (ف، لو) فالفاء هنا تفيد سرعة القول و(لو) هنا تدل على الامتناع، فهو حرف امتناع لامتناع، أي امتنع الشاعر من الجزم بموالاته للأمويين؛ فهو لم يأتِ بها صريحةً حتى لا ينفر المتلقي منه، بل جاء بها متغلغلة في قانون تبديل السلم الحجاجي، ومقتضى هذا القانون أنه إذا كان القول دليلًا على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله"(١) فقد استلهم الشاعر هذا القانون لإقناع ممدوحه بأنه لم يكن أمويًا إلا من أجل قومه وخوفًا من عبد الملك بن مروان أن ينزل بهم العذاب، وجاءت صور الخوف لدى الشاعر من الأمويين في (تلبيته لدعوة المروانيين، وقوله أنهم أصحاب حق حتى ولو كانت على الصورة المجازية) ولكنه يقر بعدم موالاته له والابتعاد عنهم في فترة من الفترات وجاء ذلك في قوله (ولكنني غيبت عنهم).

استخدم الشاعر هنا السلم الحجاجي في دعوته وتنصله من آل مروان، وكان في قمة هذا السلم عدم الموالاة للأمويين في فترة من فترات الزمن، جاءت تحت هذه القمة بعض المقدمات الحجاجية منها أن الشاعر يحمد الله أنه لم يكن في عذراء أصحاب مروان في هذا الوقت، لأجبر على تأييد مروان بن الحكم، كما أن الشاعر تخلى عنهم في فترة الحرب، وعبر الشاعر عن هذا من خلال قانون تبديل السلم الحجاجي.

ونشد الشاعر قبل هذه الأبيات بيتًا، يمدح فيه الأمويين، هذا البيت بمثابة القاعدة التي ارتكز عليها في خطابه الحجاجي، فقد استطاع الشاعر أن يراعي مقام ممدوحه في الثناء على الأمور المحببة له، فهو يسير طبقًا للمقولة المشهورة التي تقول لكلٍّ مقام مقال، ومراعاة المقام تساعد على تحقيق القدرة الإقناعية للخطاب الحجاجي، وهي " حاجة المتكلم إلى مراعاة المتلقي أو الاستحواذ على انتباهه في مرحلة أولى ثم الفعل فيه في المرحلة الثانية"(٢)

لذلك ظهرت براعته الحجاجية بعد مقتل عبد الله بن الزبير، كان لا بد للنميريين من التقرب للأمويين ولما كان الراعي حجاجيًا في شعره وكان من وجوه قومه، كان عليه

(١) اللسان والميزان، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، صـــ ٢٧٨.

(٢) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، مرجع سابق، ص٩٠.

تمهيد الطريق لتلك المهمة، وهذا يدل على قدرته الحجاجية والإقناعية على الرُّغم من صعوبة تلك المسئولية، فيقول:

أَبُوكَ الّذي آسَى الْخَلِيفَةَ بَعْدَمَا رأى الموتَ منهُ بالمدينةِ وانيا (١)

أثنى الشاعر على والد بشر بن مروان (مروان بن الحكم) ممدوح الشاعر بخصيصة السَّخاء، واستدل على سخاءه بأنه أكرم الخليفة بماله، كما وصفه بالكريم الذي يعفو عند المقدرة، وهذه الكلمات تجعل قلب بشر يلين لكلام الراعي.

وقد حاول الشاعر دفع الظلم عن قومه عبر توظيف الكثير من الصور الحجاجية في سبيل رد المظالم عن قومه، وراح يعتذر أكثر من مرة للأمويين عمَّا بدر منهم قديمًا.

وكان الراعي النميري لسان حال قبيلته فهو بمثابة السفير لها، لذلك ليس عجيبًا أن يكون صاحب بيان ولسان محاجج، كما ليس هذا بغريبٍ على شاعر عاش بين قبيلته سيدًا، كما أنه من بيت الرئاسة في قبيلته، فحتمًا يكون شاعر مائز من بين شعراء عصره.

ويحكي لنا أبو الفرج الأصفهاني حوارًا دار بين عبد الملك بن مروان والراعي النميري، هذا الحوار يبرهن على أن الراعي كان هدفه هو القبيلة أي تفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة وهذه هي صفات الأسياد، وتبرهن أيضًا على أنه شاعر مائز.

يقول أبو الفرج الأصفهاني (لقد كان الراعي مؤثرًا لقومه على نفسه وتلك سمة من سمات الرؤساء والجلَّة. وذكر أنه لما أنشد الراعي عبد الملك بن مروان قائلًا:

فإن رفعت بهم راسًا نعشتهم وأن لقوا مثلها في قابل فسدوا

قال له عبد الملك بن مروان: أتريد ماذا ؟ ... قال ترد عليهم صدقاتهم فتنعشهم.

فقال عبد الملك: هذا كثير، قال أنت أكثر منه، قال: قد فعلت، فسلني حاجة تخصك، قال: قد قضيت حاجتي، قال سل حاجتك لنفسك، قال: ما كنت لأفسد هذه المكرمة)(٢).

ومن خلال هذا الحوار الذي دار بين عبد الملك الأموي والراعي والنميري يدلل على أن الشاعر في قمة الإيثار لقومه، ويتبين من الحوار كذلك أنه صاحب قضية مهمة.

---

١ - ديوان الراعي ، شرح د/ واضح الصمد ، ص ٢٥٠ .

(٢) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ج٢٣، صـــــ٣٦٠.

ونلاحظ أن الشاعر تميز باستحضار المعاني الجزلة والتعبيرات الجيدة، التي لها قيمة حجاجية تتمثل في اهتمام المتكلم بالمخاطب فاللغة هي مجرد واجهة يصطدم بها القارئ لتحيله فيما بعد على معان أخرى تخفيها وراءها، لأن اللُّغة كما وصفها ابن جني ليست سوى " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"(١) ويتضح ذلك في قوله(٢):

كريم تعزب العلات عنه إذا ما حان يوما أن يزارا
متى ما يجد نائله علينا فلا بخلا تخاف ولا اعتذارا
هو الرجل الذى نسبت قريش فصار المجد منها حيث صارا
وأنضاء أنخن إلى سعيد طروقا ثم عجلن ابتكارا
على أكوارهن بنو سبيل قليل نومهم إلا غرارا

الشاعر هنا يمدح سعيد بخصال قيمة، وهذه الخصال تسهم في إقناع ممدوحه واستحسانه لِما سيتم قوله من قِبَل الشاعر، ونستنتج من هذه الخصال صدق حب الشاعر لممدوحه، بما هو فيه من مزايا حقيقية ليست كاذبة، فإذا كان الناس يمدحون بما ليس فيهم ، فإن سعيد بن عبد الرحمن يستحق المدح دون خداع.

يبدع النميري في صوره الحجاجية المدحية إبداعًا فنيًا رائعًا في مدح سعيد بأنه كريم جدًا فإن زرته في يوم، أبعد كل ما يشغله عنك وتفرغ لزائره تمامًا؛ لذلك فإن الزوار لا يخافون بخلاً ولا اعتذارًا، ويقنعه بأسلوبه الحجاجي بأنه سريع في قضاء حوائج الناس، وهذه التقنية الحجاجية تعتمد على حجة التعدية : وهي صورة تجمع بين بعض " العلاقات التي تسمح بالانتقال من الإثبات بأن نفس العلاقة التي توجد بين طرفي أ و ب وبين ب و ج إلى الاستنتاج بأن هناك نفس العلاقة بين طرفي أ و ج "(٣)

الشاعر لا يُحرَم من عطائه، وهذه الصفات تعد مقدمات منطقية تسير بسلاسة ولطف في قلب وعقل المتلقي، لتصل في نهاية المطاف إلى نتيجة منطقية وهي الثناء على (سعيد) لنيل العطايا والهبات منه؛ ونظرًا لمعرفة الشاعر بفن مراعاة المقام، وإجادته للمعاملة النفسية لمتلقيه، استطاع أن يستخدم المفردات المشبعة بالروح الدينية، ليجبر المتلقي على الإنصات له ويسمع لأقواله ويوافقه في رؤيته، فيقول:

---

(١) الخصائص ، لأبى الفتح عثمان بن جنى ، ج ٢ ،ص ٩٥.

(٢) الديوان ، ص ١٥١- ١٥٢

٣ - الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، محمد الولي، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠٠٥، ص ٣٧٨.

إنَّ الخلافة من ربي حباك بها لم يصفها لك إلا الواحد الصمد
القابض الباسط الهادي لطاعته في فتنة الناس إذ أهواؤهم قدد(١)

ويلاحظ أن الشاعر استوحي المسلمات الحجاجية في هذين البيتين من خلال الباعث الديني عن طريق ذكر ألفاظ دينية منها (الواحد، الصمد، الباسط، القابض،....) كل هذه الألفاظ لها دلالات الثبات واليقين في نفس الإنسان المسلم، لذلك يجعل المتلقي في حالة يقينية وثبات روحاني لهذه الرؤية.

فعبد الملك بن مروان ممدوح الشاعر هو جوهر القوة، وهو في قمة السلم الحجاجي، لأن الشاعر يستمد منه قوته وقوة قبيلته، فعندما يثبت الشاعر بالحجج والبراهين أوليته بالخلافة فكأنما يستمد منه كرامة قبيلته وعزتها واستمرارها في المفخرة بين القبائل.

اعتمد الشاعر في هذين البيتين على مقدمات منطقية (إن خلافة عبد الملك بن مروان هي أمر سماوي من الواحد الصمد، وجب على الرعية طاعة الله عز وجل في خلافة عبد الملك بن مروان فهي معطى من الله سبحانه وتعالى وليس لأحد يد فيها) ونتيجة (تثبيت حكم عبد الملك بن مروان وأخذ العطاء من خلفاء الدولة الأموية وإنقاذ مصلحة قبيلته من ظلم الولاة والعمال وباستمرار حكم الدولة الأمية وتثبيت أركانهم ينتج لقبيلته الرخاء والنمو والاستقرار والأمان والكرامة والعزة بين القبائل، باعتبار الشاعر هو المدافع عن قضايا قبيلته، فهو من أولئك الشعراء الذين فنوا أعمارهم في خدمة قضايا قومهم ليحققوا لهم حياة رغدة كريمة.

جزم الشاعر بأولية عبد الملك بن مروان بالخلافة من خلال الروابط المنطقية وهي (إن، لم، إلا، إذ) فجاءت بدلالات التوكيد لخدمة الآلية الحجاجية التي تدعم النتيجة وهي رضى الخليفة عبد الملك عن الراعي وأهله.

جاءت هذه الصفات المتتالية (القابض الباسط الهادي) كأدوات حجاجية تدل على التخصيص تعطي للمتلقي ثقة فيما يقوله الشاعر، وتدعم رؤيته وخطابه الحجاجي.

وحين يستعمل الشاعر التمثيل يكون المدح " أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم للعطف ، وأجلب للفرح ، وأغلب على الممتدح وأوجب شفاعة للمادح ، وأقضى له بغر المواهب والمنائح وأسير على الألسن وأذكر وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر "(٢).

---

(١) الراعي النميري، صـــــ٨٩.

(٢) أسرار البلاغة ، للجرجاني ، ص ٨٨ .

أراد الشاعر عن طريق صوره الحجاجية أن يوضح للملك الإحساس بمصلحة القوم، والالتزام بالدفاع عن قضاياهم وتنبيه الحكام إلى ما تعانيه الغالبية العظمى من جور السعاة، لذلك بدأ في مطلع قصيدته بمقدمات منطقية تعزز استراتيجيته الحجاجية، فذكر خصال جميلة لممدوحه لتقربه منه، وليستعطفه إليه، كما أن هذه الافتراضيات المنطقية التي يبدأ بها الشاعر" في إطار الخطاب لا يكون كذلك ما لم تشفع بأدلة وأنساق برهانية تدعمها "([1]).

فيقول (٢):

ما بال دفك بالفراش مذيلا أقذى بعينك أم أردت رحيلا

يُلاحظ في الأبيات السابقة أن الشاعر بدأ حججه المقنعة بالتعبير عن أحاسيسه ومشاعر قومه، إنهم يشعرون بالجور والظلم، ولذا كثرت همومه، وبدأ يلحُّ في الإقناع مُتسائلًا ما بال جنبك بالفراش قلقًا لا يستقر ؟ فعبر الاستفهام يتضح لنا الحجة التي تسهم في إضفاء مزيدٍ من الإقناع لما له من أثر على المتلقي، إن الاستفهام يحوي ما بين دفتيه الحيرة والاضطراب ويمهد لموضوعه ليشد انتباه الخليفة إليه وهذه هي الركيزة الأولى في الحجة التي ينطلق منها الشاعر لتقديم الشكوى، ثم يبين أنه قادم لإبلاغ رسالة من قومه مما يلاقونه من ظلم العمال والسعاة وهو يتمنى الوصول إلى أمير المؤمنين ليلبي رغبته. وفي موضع آخر يمدح الشاعر بشر بن مروان بقوله:

أُرَجِّي المني من عند بشرٍ ولم أزلْ لأمثالها من آل مروانَ راجيًا
فأنتَ ابنُ خيريْ عصبتينِ تلاقيا عَلى كُلِّ حَيٍّ عِزَّةً وَمَعَاليا
وأنتَ ابنُ أملاك وليثُ خفيّة تَفَادَى الأُسُودُ الْغُلْبُ منْهُ تَفَاديا
ونائلكَ المرجوُّ سيبُ غمامةٍ سَقَتْ أَهْلَهَا عَذْبَاً منَ الْمَاءِ صَافِيا(٣)

يمدح الراعي النميري بشر بن مروان وهو(من فتيان قريش أكثرهم سخاء ونجدة وشجاعة وبأسًا، وكان يغري بين الشعراء)(٤) وأعلن حبه له، كما أعلنت عشيرة بني نمير ولاءهم الصادق له، ويخطو الشاعر في حجته المدحية السابقة مُنطلقًا من الجزء

(١) مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطره في البلاغة المعاصرة، ج١، ص٨٩٣.

(٢) الديوان ، ص ١٩٨

(٣) ديوان الراعي، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨..

(٤) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، صـــــ٢٤، ٢٥.

(بشر بن مروان) لِيُعبِّر به عن الكل (بني أمية)، وهذه الحجة شبه منطقية؛ حيث إن الجزء لا يُمثِّل الكل في بعض حالاته، وتُسمَّى هذه الحجة بالبرهان عبر الحدَّين، وهي نمطٌ حجاجي يتضمَّن " فرضيتين؛ ليستنتج أنه سواء وقع الاختيار على الأولى أو الثانية نصل إلى الفكرة نفسها أو الموقف ذاته، وذلك لأحد الأسباب التالية: فإما لأنهما تقودان إلى النتيجة ذاتها، وإما لأنهما تقودان إلى نتيجتين لهما نفس القيمة أو لأنهما يقودان للحالتين مع قاعدة نتقيد بها" ([1])

فالفرضية الأولى التي ينطلق منها الشاعر أنه يرجو المُنى من ممدوحه (بشر)، والفرضية الثانية أنه لم يزل يرجوها من آل مروان، وكلتا الفرضيتين تقود إلى نتيجة واحدة وهي جود وعطاء بني أمية وكرمهم. ويستمر الشاعر في توظيف تلك الحجة في البيت الثاني مُبتدأً بالفرضية الأولى/الجزء في قوله (فأنت) يقصد بشر بن مروان ليصل من خلاله إلى الفرضية الثانية/الكل (بني أمية) مُجاولًا إثبات أفضلية بني أمية في قضية الخلافة والحكم وانتصارها على الجماعة الأخرى المناوئة لها، وكلتاهما تقودان إلى النتيجة نفسها. و(بشر بن مروان) صاحب عزٍ وجاه تقود هذه الفرضية إلى فرضية أخرى وهي أن بني أمية أصحاب عزٍ أيضًا لأنه ورثه منهم

ويسعى الراعي في البيت الرابع إلى تحقيق هدفه الحجاجي أو القصد المعلن من المدح، فهو يريد أن يستجدي عطاء (بشر) فهو يرجو الكثير من عطاء بشر مثلما تكون السحابة ملأى بالماء العذب لِتُسقي الناس، والمدح عبر هذا التشبيه يكون " أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم وأهز للعطف (أدعى للزهو) وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح وأوجب شفاعة للمادح، وأقضى له بغر المواهب والمنائح وأسير على الألسن وأذكر وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر"([2]) ويمكن تمثيل تلك الصورة الحجاجية كالآتي: عطاء بشر كالسحابة الممطرة ← الشاعر يرجو العطاء الكثير مثل السحابة.

---

١ - الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، أربد، عمان، ط١، ٢٠٠٨ ، ص ٢٠٩.

٢ - أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحق/ محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٨٨.

وتشكِّل الحوارية سمة من سمات الخطاب الحجاجي عند الراعي؛ حيث إن اشتراك المتلقي في الحوار يزيد من قوة إقناعه ولابد من وضوح الأدلة التي يأتي بها المحاجج، وتجسد الأبيات التالية للراعي تلك السمة، فيقول في مدح (بشر):

نَزَلْتَ منَ الْبَيْضَاءِ فِي آلِ عَامِرٍ وفي عبدِ شمسَ المنزلِ المتعاليا
فَلَمْ نَرَ خَالاً مِثْلَ خَالِكَ سُوقَةً إذا ابتدرَ القومُ الكرامُ المساعيا
وكَانَ الْعِرَاقُ يَوْمَ صَبَّحْتَ أَهْلَهُ كَذِي الدَّاءِ لاَقَى مِنْ أُمَيَّةَ شَافِيا
كشفتْ غطاءَ الكفرِ عنّا وأقلعتْ زلازلهُ لمّا وضعتَ المراسيا
وَعَفَّيْتَ مِنْهُمْ بَعْدَ آثَارِ فِتْنَةٍ وَأَحْيَيْتَ بَاباً لِلنَّدَى كَانَ خَاوِيا
فإنا وبشرًا كالنجوم رَأَيْتُها يَمَانِيَةً يَتْبَعْنَ بدرًا شاميًا(١)

فالشاعر يمدح بشر بجملة من الأوصاف مستدلًا، فيقول: أنه صاحب مكانة عليا وقدر عظيم أينما نزل أو حلَّ في آل عامر أو في آل عبد شمس، له خالٌ ليس له شبيه في الطاعة والولاء للملك، شفي العراق من مرضه يوم أتى إلي أهله صباحًا، ويعمد الشاعر إلى مبدأ الانتقاء في أدلته الحجاجية لتكون مناسبة لوضعية المتلقي وموافقة لميوله؛ فيتحقق هدف الخطاب، فالحروب التي خاضها (بشر) في العراق وما قام به من سفكٍ للدماء إنما هي شفاء من داء الفتنة، ومتى ما يستقر في مكان ما يزول الكفر عنه، وصفحه وعفوه عن الكثيرين الذين أثاروا الفتنة إنما يدل على كرم أخلاقه، وتأتي نتيجة المقدمات الحجاجية السابقة التي عرضها الشاعر منطقية وهي الولاء والطاعة لِبشر، فيقول نحن نتبع بشرًا كما نتبع النجوم الجنوبية القمر " البدر الشمالي".

وهكذا يتبين لنا كيف انطلق الشاعر في مدحه لِبشر عبر منطق حجاجي اعتمد فيه على تقنيات حجاجية متنوعة استخدم فيها الوصف والانتقاء ليبين من خلالها حبه الشديد لبشر وموالاة قبيلته له، عن طريق الاستدلال المنطقي فأينما يذهب بشر فقبيلة بني نمير تسر معه، فهو كالنجوم الهادية. وقد ذكر الشاعر حبه وامتنانه لآل مروان في بداية القصيدة ثم تدرج في مدح بشر بن مروان، كما أتى ذكر ولائه للأمويين بصفة عامة كمقدمة منطقية سار عليها، ليصل بالقياس المنطقي إلى الاستدلال على حبه الشديد لبشر.

(١) ديوان الراعي، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨..

وقد جاء الهدف الأسمى من استخدام الصور الحجاجية المدحية للأمويين عند الراعي بهدف الاعتذار عن أفعال بني نمير المناوئة، وكان يسعى جاهدًا وباحثًا عن أساليبه الحجاجية للتقرب من الخلفاء والأمراء من أجل بلوغ غايته وجلب عطائهم، فيقول:

رَجَوْتُ بُحُوراً مِنْ أُمَيَّةَ دُونَهَا عدوٌّ وأركانٌ منَ الحربِ ترمحُ
وما الفقرُ منْ أرضِ العشيرةِ ساقنا إليْكَ ولكنَّا بِقُرْبِكَ نَبْجَحُ
وَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ أنَّكَ تَشْتَري جميلَ الثّنا والحمدُ أبقى وأربحُ
وأنتَ امرؤٌ تروي السّجالَ وينتحي لأبعدَ منّا سيبكَ المتمنّحُ
وإنّكَ وهّابٌ أغرُّ وتارةً هزبرٌ عليه نقبةُ الموتِ أصبحُ
أَبُوكَ الَّذي نَجَّى بِيَثْرِبَ قَوْمَهُ وَأَنْتَ الْمُفَدَّى مِنْ بَنِيهِ الْمُمَدَّحُ(١)

فالشاعر يؤكد على فضيلة الكرم المُفرَط الذي يتمتع به بنو أمية ليدفع الممدوح إلى تقديم مزيدٍ من العطاء له ولقبيلته، ويحاول الشاعر التقرَّب من ممدوحه وفي الوقت نفسه يستعلي بنفسه عن ذل الحاجة، فلم يكن الفقر هو الدافع الرئيس للقدوم إليه؛ وإنما إحساسهم بالفخر والأمان في جواره، فالشاعر يقيم حجته على علاقة تفسير لحدث المجئ إليه، وإن كانت العلاقة غير منطقية إلا أنها تُسهم في تفسير الواقع وتصبح أكثر إقناعًا وأقوى في التأثير على المتلقي.

وفي البيت الثالث يدعم الشاعر صورته الحجاجية المدحية بما يُسمَّى بالحجة السببية، فقد وضح الشاعر سبب وفود الشعراء على ممدوحه وهو أنهم يكافئهم على جميل المدح، واعتمد كذلك في البيت نفسه على ما يُسمَّى بتقنية (المقارنة) " وهي عملية تجريبية منشدة إلى عملية بناء الواقع خاصة، وأن المقارنة حين تُعقَد بين طرفين لا تكون بالضرورة واقعية؛ بل تكون مبتدعة لا أساس لها إلا سياق النص وخيال المجنح"(٢) فإذا كان الشعراء يخصون (بشر) بالمدح رغبة في عطاءه ونوال جوده؛ فإن الشاعر يخصه بذلك لأنه يستحق الثناء بالفعل، وهذه قولة حق من الشاعر يبغي بها الحمد والثواب من الله، وهذا بالطبع أفضل وأبقى، واستدل على صدق قوله هذا بالبيت الذي يليه، فيقول أنت تملأ الدلاء بالمال الكثير ودائما تجزل العطاء لنا ولغيرنا، لأنك تقصد وجه الله. كما أك كريم وسخي.

---

١ - الديوان، ص ٦٩.

٢ - الحجاج في الشعر العربي القديم، مرجع سابق، ص ٢٤٨.

وقد اعتمد الشاعر على كثيرٍ من العناصر اللغوية الحجاجية في شعره، ومنها أسلوبا الشرط في بيتيه التاليين اللذين يمدح فيهما (بشر بن مروان) بقوله:

إذا ما قريشُ الملكِ يوماً تفاضلوا بدا سابقٌ منْ آلِ مروانَ أقرحُ

فإنْ تنءَ دارٌ يا ابنَ مروانَ غربة بحاجةِ ذي قربى بزندكَ يقدحُ(١)

فالبيت الأول يتضمَّن "إذا" الشرطية التي " تستعمل مع المتوقع وقوعه، فالأصل في (إذا) أن يكون الشرط مقطوعًا بوقوعه"(٢) فقوله: **(إذا ما قريشُ الملك يوماً تفاضلوا)** جملة شرطية تقع بمنزلة السبب، والجواب يتمثَّل في قوله: **(بدا سابقٌ منْ آلِ مروانَ أقرحُ)** فقد ربطت "إذا" بين فعل الشرط وجوابه والعلاقة الشرطية بينهما تبقى بوجود الشرط وتنتفي بعدمه، ويُعدُّ هذا التركيب الشرطي قانونًا حجاجيًا لكونه " قاعدة تخاطبية؛ مقتضاها أن المتكلم يخبر المخاطب بأقصى ما يمكن من الفائدة، فيصير هذا الأخير إلى حمل قوله على إفادة أن العلاقة بين المقدم والتالي علاقة شرط طردًا وعكسًا لا طردًا فحسب" (٣) فإذا ما ثبت التسابق على الملك ثبتت أسبقية آل مروان، وقد انطلق الشاعر في مدحه في الأبيات السابقة من خلال قاعدة تاريخية يجلب بها القلوب، وهي مكانة آل مروان في قريش فإذا تفاضل سادة قريش كان المكان الأول في الرفعة والفضل لآل مروان، وهذه الصور الحجاجية المقنعة تستميل الملك وتجعله يتقرَّب أكثر بعطاياه للراعي النميري. كما استخدم الشاعر في البيت الثاني أداة الشرط "إن" و تستعمل أحيانا في الأمر المشكوك في وقوعه، فالشاعر يريد إثبات دوام عطاء ممدوحه عبر توظيف أسلوب الشرط "بإن" والتي تفيد التقليل كذلك، فالدرا ليست ببعيدة لتنال من عطاء آل مروان حتى لو بعدت عنهم فإن حاجتهم تقضى بهم ونار منازلهم تشتعل بفضل ودهم.

ويقول في مدح (بشر) كذلك:

إلى المصطفى بشرِ بنِ مروانَ ساورتْ بِنَا اللَّيْلَ حُولٌ كالْقِدَاحِ وَلُقَّحُ

نَقَانِقُ أَشْبَاهٌ بَرَى قَمَعَاتِهَا بُكُورٌ وَإِسْآدٌ وَمَيْسٌ مُشَيَّحُ (٤)

---

١ - الديوان، ص٧٠.

٢ - في النحو العربي، نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٧، ص ٢٩١.

٣ - اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨، ص ٣٩٧.

٤ - الديوان، ص ٦٥.

يحاول الشاعر إقناع بشر بن مروان في هذا البيت عن طريق الرابط المنطقي (الكاف) وهي أداة استخدمها الشاعر لغرض حجاجي في إطار التشبيه حيث شبَّه سرعة الإبل للوصول إلى بشر بالسهام النافذة السرعة، وقد أسهم التشبيه كثيرًا في إقناع الممدوح؛ لأن سرعة الإبل حينما تشبه سرعة السهام النافذة فهذا يدل على مدى تأكدها من عطاء بشر الوافر على الرغم من إجهادها وطول الركوب عليها.

ويخاطبه قائلاً:

وما الفقر من أرض العشيرة ساقنا إليك ولكنا بقربك نبجع
وقد علم الأقوام أنك تشترى جميل الثنا والحمد أبقى وأربح
وأنت امرؤ تروى السجال وينتحى لأبعد منا سيبك المتمنح (١)

الشاعر هنا ينفخ في ذات ممدوحه عن طريق مقدمات منطقية جاءت المقدمة الكبرى في التباهي والتفاخر بجوار بشر والإحساس بالأمان معه، وجاءت المقدمات الصغرى لخدمة المقدمة الكبرى ومنها نفي الشاعر لسبب الفقر الذي أدى إلى التجاء الراعي وقبيلته إليه، تحدث الشاعر عن كرمه فاستخدم التشبيه كمعطى حجاجي لوصف سخاءه فوصفه بالدلو الكبير الممتلئ بالماء، وهذه الصورة تعطي للمتلقي ثباتًا وإيمانًا بأن ممدوحه يكنى بهذا العطاء فهو يعطيه بدون مقابل وبطيب خاطر.

كما أظهر لنا صورة حجاجية رائعة متمثلة في صفة الإيمان وهي العطاء لوجه الله وقصد مرضاة الله لا إرضاءً لعشيرة الراعي، وهذه الصورة تعطي للمتلقي قيمة وقامة وتقبل ويقين بأن ممدوحه على قدرٍ عالٍ من الإيمان.

إن الراعي النميري امتلك كثيرًا من التقنيات الحجاجية ووظفها في شعره عبر أنماطٍ شتى، فالحجاج عنده ليس " عملية حشد الحجج وربط مفاصل الكلام ، وتعليق بعضه ببعض، فحسب؛ بل يعنى كذلك جملة من الاختيارات الأخرى على مستوى المعجم والتراكيب وأزمنة الأفعال..."(٢) .

يستمر الراعي النميري في استخدامه للحجاج بأنماطه المختلفة وخصوصًا حجاج الصورة المدحية، لأنها الدعائم التي يرتكز عليها الشاعر لتحقيق مصالح قومه وغاياتهم

(١) الديوان ، ص ٦٩ .

(٢) الحجاج في الشعر العربي القديم ، سامية الدريدي ، ص ٨٨ .

في استرداد مكانتهم المهدرة، فيقول الراعي في مدح (سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد) فيقول:

ألم تسأل بعارمة الديارا عن الحى المفارق أين سارا (١)

يبدأ الشاعر مطلع قصيدته الحجاجية بمدح سعيد وقد استخدم الشاعر الأساليب المقنعة المبهرة، ويتضح ذلك من خلال تلك المقدمة الحجاجية التي بدأها مع سعيد، ليدخل بها إلى معترك عقله وعاطفته، وهذه المقدمة تدفع المتلقي إلى الاستماع له ليستعطف بها قلبه ، فيسأل مخاطبًا نفسه أو صاحبًا له متوهمًا قائلاً: ألم تسأل الديار في (عارمة) إلى أين سار مفارقونا. وليس المقصود من الاستفهام بالهمزة هنا انتظار الإجابة بنعمٍ للنفي أو بلى للإثبات؛ وإنما لفت الانتباه إلى مسار الطريق الذي سلكه المفارقون لركب الشاعر، وهو الطريق المؤدي إلى منزل (سعيد بن عبد الرحمن) ممدوحه.

، ويقول أيضًا (٢):

ترجى من سعيد بنى لؤى أخي الأعياص أنواء غزارا

تلقى نوؤهن سرار شهر وخير النوء ما لقى السرارا (٣)

فنجد من خلال الأبيات السابقة بأنه لا تخلو قصيدة من قصائده إلا وتعتمد على هذه الفكرة الحجاجية، فجميع هذه المعاني تحتج لفكرة الاستعطاف عن طريق مدحه ، فيقول له: رجونا الخير العميم والأعطيات الكثيرة من هذا السيد ، وكان ذلك سبب قدومنا إليه، ويعلل الشاعر لوصول تلك الأعطيات آخر الشهر، لأن ذلك أفضل وأجزل؛ فأفضل ما يكون المطر للأرض الذى يهطل في آخر الشهر ، لينبت العشب والكلأ الوفير .

ويُمكن تحليل البيتين حجاجيًا إلى أربع حجج كالتالي:

١- رجونا الأعطيات الكثيرة من هذا السيد.

٢- وهذا سبب ذهابنا إليه.

٣- أفضل ما يكون العطاء آخر الشهر.

٤- وصلتنا الأعطيات الكثيرة آخر الشهر.

---

(١) الديوان ، ص ١٤٨

(٢) المصدر السابق ، ص ١٥١ .

٣ - الديوان، ص ١٥١.

وهذه الحجج الأربعة ليست على درجة واحدة من القوة؛ ولِذا يبدأ الترتيب في السلم الحجاجي تنازليا، فيأتي القول الرابع في مقدمة السلم ويليه الثالث ثم الثاني فالأول.

وممن مدحهم الراعي النميري من الخلفاء (يزيد بن معاوية بن أبى سفيان)، فيقول:

وَإنّي وَذِكْرَايَ ابْنَ حَرْبٍ لَعَائِدٌ لخلّة مرعيِّ الأمانة واصلِ
أَبُوكَ الَّذِي أَجْدَى عَلَيَّ بِنَصْرِهِ فَأَسْكَتَ عَنِّي بَعْدَهُ كُلَّ قَائِلِ
وأنتَ امرؤٌ لا بدَّ أنْ قدْ أصبتني بموعدة دين عليكَ وعاجلِ
ثنائي عليكمْ آلَ حربٍ ومنْ يملْ سِوَاكُمْ فَإِنِّي مُهْتَدٍ غَيْرُ مَائِلِ(١)

بدأ الشاعر بمعطى افتراضي كمقدمة لدعواه، ليكون "أول جسور التواصل المقنع بينه وبين مخاطبيه الذين يرغب في انخراطهم معه في التسليم لتلك المقدمات"(٢) لذلك جاء الشاعر بحجة يقينية كمعطى افتراضي مما أكسب هذا الخبر صدقًا سواء تعلق الأمر بصدق اعتقاده به أو مطابقته للواقع، وانحصرت هذه الحجة في تشبيه نفس ممدوحه بالشجرة الأصلية التي ترعى الأمانة وتذكر الناس بخيرها وأعطياتها وهو كعادته لا ينسى أهل الفضل من أقرباء الممدوح سواء كان الأب أو الخال أو الأم، وأن آل حرب يستحقون الثناء وهذا يزيد قوة في إقناع ممدوحه.

وقد اعتمد الراعي في صورته الحجاجية السابقة على ما يُسمَّى بالوصل السببي وهو إحدى وسائل التعليل، وذلك حينما " يعمد المرسل إلى الربط بين أحداث متتابعة، مثل الربط بما يُمكن أن يكون المقدمة والنتيجة؛ فتصبح النتيجة مقدمة لنتيجة أخرى"(٣)

فالمقدمة الحجاجية في الأبيات السابقة هي ذكر (ابن حرب) تؤدي إلى نتيجة وهي ذكره بالخير، وهذه الأخيرة تؤدي إلى نتيجة ثانية وهي تذكر شجرة نسبه كاملًا لاتصافها بالأمانة والخير كذلك، وتصل بنا تلك النتيجتين إلى نتيجة ثالثة وهي فضل أبي سفيان على الشاعر فقد نصره وردَّ عنه من أراد به السوء. ويصل بنا في النهاية إلى غرضه من المدح ليخرج لنا بتلك النتيجة أن (معاوية) كذلك سيعده ويمنيه خيرًا وعطاءً عاجلًا

---

(١) الديوان ، ص ١٩٤ .

(٢) مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة (بحث)، محمد سام محمد الأمين الطلبة، في ضمن كتاب "الحجاج مفهومه ومجالاته-دراسة نظرية وتطبيقيه محكمة في الخطابة الجديدة) مجموعة من المؤلفين، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط١، الجزائر، ٢٠١٣.

٣ - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجية الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤، ص ٤٨٠.

أو يعتبره ديناً عليه سيؤديه عاجلًا، وقدم الراعي حجتيه في ذلك: الأولى، أن القبائل العربية تعلم بكرمه وبأسه رغم بعدهم عنه، والحجة الثانية أنه مطيع لهم ولا يضل في طاعتهم كغيره من الناس، إضافة إلى أن مدحه فيه صادق.

ويبدو لنا أن الشاعر قد يستعمل القليل من الإقناع والحجج بقدر اللمعة التي تزيد الشعر بهوًا وجمالاً ومنظرًا وتقبلاً عند المتلقي ، فمثل الإقناع كمثل الملح في الطعام ، قليلها يطيبه وكثيرها يعيبه .

وليس شرطًا في الإقناع أن لا يفرط الشاعر في استعماله فحسب، بل يجب أن تكون الأقاويل المقنعة الواقعة في الشعر، تابعة لأقاويل المخيلة، مؤكدة لمعانيها، فكان يضع المقنعات في أحسن مواضع المخيلات فيتمم الفصول بها أحسن تتمة، ويقسم الكلام أحسن قسمة (١).

فيقول في مدح عبد الملك بن مروان:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة شكوى إليك مظلة وعويلا

إلى أن يقول:

فادفع مظالم عيلت أبناءنا عنا وأنقد شلونا المأكولا

أنت الخليفة حلمه وفعاله وإذا أردت لظالم تشكيلا

وأبوك ضارب بالمدينة وحده قوما هم جعلوا الجميع شكولا(٢)

فالشاعر ذكر الغرض الأساسي الذي من أجله أتى بالقصيدة وهي رفع المظلمة عن قبيلته والشكوى للخليفة عبد الملك بن مروان من جراء ظلم السعاة، فذكر غرضه الأساسي ثم تدرج في مدح الخليفة لتقوية خطابه الحجاجي، فمدح وقال له أن الخليفة في الحلم وفي الأفعال، كما أن إذا أراد للعدو النكال سينكله يكون عبرة لكل الظالمين، ثم استخدم الشاعر الماضي في ذكر خصال مروان بن الحكم، ليحرك عاطفته الجياشة لتقبل الشكوى.

ويستمر شاعرنا بتوجيه القول إلى ممدوحه وجهة واحدة نحو الانخفاض، وهذا ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه بفعل شيء ما(٣)، فيقدم حججه إلى المتلقي

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، ص ٣٢٦-٣٢٧ .

(٢) الديوان ، ص ٢٠٤-٢٠٩ .

(٣) استراتيجيات الخطاب ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص ٥٢٠ .

حتى يحصل على استجابة من مخاطبه، وقد جاءت في بنية قصرية حتى تكون موغلة في الحجاج، فهذه التراكيب تتدرج في سياق حجاجي يمثله إنكار المخاطب، وإقناع المتكلم له واستعمال أساليبه الحجاجية ما هو إلا قلب لمعتقد المخاطب فيوضح للأمير الظلم في أبشع صوره، مخبرًا إياه بأن السعاة الذين أمرهم بالعدل لم يفعلوا شيئًا منه ولو مقدار نواة تمر ، بل أخذوا النياق الحوامل وفصلوا عنها أولادها جورًا وظلمًا ويكتبون لك في تقاريرهم بأنهم أخذوا بعيرًا صغيرًا ، وبأسلوبه الحجاجي يسأل الخليفة هل ذلك الظلم والجور يزعجك أو ما ييسره ؟ فيقول:

إن الذين أمرتهم أن يعدلوا لم يفعلوا مما أمرت فتيلا

أخذوا العريف فقطعوا حيزومة بالأصبحية قائمًا مغلولا (١)

إلى قوله:

أخذوا المخاض من الفصيل غلبة ظلما ويكتب للأمير أفيلا (٢)

فهذه الأساليب الحجاجية اللغوية يقدمها الشاعر لممدوحه لرفع الظلم، ويقول ابن سلام الجمحي كان عبد الملك بن مروان ثقيل النفس عليه، أي حمل لهم في نفسه غضبًا، فلم يكترث لمقولته على الرغم من أنها كانت قصيدة جيدة ، وعبد الملك من أهل العلم والأدب فهو لا يجهل قيمتها الأدبية ، فلم يحظ ولم يحل منه بشيء فوفد إليه من قابل(٣) .

وفى العام التالي قصد عبد الملك بن مروان وأنشد بين يديه قصيدته الدالية ومدحه فيها هو وقومه أيما مدح فاستمع إليه وقال له أنت العام أعقل منك عام أول ولبى نداءه(٤) حيث قال:

بأن الأحبة بالعهد الذى عهدوا فلا تمالك عن أرض لها عمدوا(٥)

رُغم هذا المدح والاستطراد لتثبيت حكم الأمويين وتفوقه في أسلوب الإقناع والإتيان بحججه القوية إلا أن الراعي النميري لم يكن أمويًا بيد أنه يتلاشى عذاب عبد الملك بن مروان لقبيلته، والدليل على ذلك قوله في فترة من فترات حياته:

---

(١) الديوان ، ص ٢١٠ .

(٢) الديوان ، ص ٢١٣ .

(٣) طبقات فحول الشعراء ، ص ٧٤-٧٥ .

(٤) طبقات فحول الشعراء ، ص ٧٥ .

(٥) الديوان ، ص ٨٠ .

بني أمية أن الله ملحقكم عما قريب بعثمان بن عفان(١)

الشاعر في هذا البيت يبين الأساس التي قامت عليه الحكم الأموي وهو الأخذ بثأر عثمان بن عفان وهي حقيقة لا تقبل الشك، ولكن بنى عليها الشاعر قاعدة منطقية مضادة وهي الدعاء لبني أمية بالإلحاق بسيدنا عثمان رضي الله عنه، وهذا من شدة الاضطهاد الذي وقع على بني نمير.

ويقول في موضع أخر:

خُبرْتُ أنَّ الفتى مَرْوانَ يُوعِدُنِى فَاستبقِ بَعضَ وَعِيدِى أَيُّهَا الرَّجُلُ

وَفى يَدُومَ إذَا اغْبَرَّتْ مَنَاكِبُهُ وَذِروَةِ الكَورِ عَنْ مَرْوانَ مُعتَزَلُ(٢)

يستخدم الشاعر في هذين البيتين أسلوب التهكم والسخرية، فهو تحدى الخليفة مروان ابن الحكم، تخلل هذا الأسلوب ببعض الصور الحجاجية، فهو يحاول إقناعه بأن يتمهل في تهديداته بعد أن أُخبر أن مروان يتوعده ويهدده، ثم ينطلق بعد هذا الأسلوب إلى أسلوب الاستهتار والاستهزاء بسبب عدم تلبيته وعيد مروان ومن خلال هذه المقدمات المنطقية يختمها بنتيجة يتقبلها المتلقي هو اعتزاله في أعالي جبل (تدوم) أو في قمم جبل (الكور).

فالشاعر هنا تأخذه صفة الأنفة والكبرياء، وهذا واضح جلي في أسلوبه الحجاجي، فهو يحاجج مروان بأسلوب لا يليق بخطاب الخلفاء والملوك.

ومن الملاحظ من خلال ما سبق أن الشاعر اختار الأوقات المناسبة في عرض قضيته لمتلقيه، كما أنه أثنى على مناطق الحب والشغف وابتعد عن مناطق الكره عند متلقيه، لذلك راعى الشاعر المقام، وهذا "أمر أجمع عليه الدارسون والمهتمون بالحجاج وفنونه"(٣) يتوجب على المتكلم مراعاته، كما أنه مارس كُلَّ أنواع الحجج والبراهين والأدلة ليحقق أهداف قومه، فاستخدم الكثير من الصورة الحجاجية المدحية في شعره، فوصف ممدوحه بأقوى جمل المدح، لينال ما يريد، كما استخدم الشاعر روابط حجاجية لتربط بين الجمل وتعطي له انسجام وتوحد، فهذه الروابط أعطت للجمل قوة ومتانة ورصانة في الأسلوب وأسهمت في اقناع المتلقي برؤية الشاعر.

---

(١) ديوان الراعي النميري.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

(٣) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، صـــ٩٠.

ونستخلص أيضًا مما سبق أن الراعي النميري قد أبدع في صورته الحجاجية المدحية، كما أن مفرداته مشبعة بالروح الدينية والنزعة الفلسفية، والعبارات التي جاءت في مدحه قوية صادقة مليئة بالجدة والابتكار والخيال، وتظهر صفة الحرص في انتقاء الألفاظ والمعاني والدقة في التصوير في جلِّ مدائحه .